

ندوات تلفزيونية - قناة انفينيتي - مكارم الأخلاق - الدرس (١٩-٣٠) : السكينة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٣-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أيها الأخوة والأخوات ، السلام عليكم ورحمة الله ، وأرحب بكم في برنامج : "مكارم الأخلاق" وباسمكم أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين ، أهلاً ومرحباً بكم دكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ عدنان جزاك الله خيراً .

الأستاذ عدنان :

اللهم يا رب هب لنا السكينة ، موضوعنا السكينة ، فالسكينة هدوء في النفس والأعصاب وارتياح ، وكل ما في هذه الكلمات من معنى ، وحتى لا أقول عن السكينة كلمات مترابطة أترك تعريفها ضمن المعنى الاصطلاحي لكم.

طريق السكينة طريق واحد وهو ذكر الله والإقبال عليه :

الدكتور راتب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أستاذ عدنان على وجه الأرض ستة آلاف مليون من بني البشر ، ما منهم واحد إلا ويبحث عن سلامته وسعادته ، والسعادة محلها القلب ، فالقلب قد يشعر بسعادة يطير من خلالها ، وقد يشعر بضيق يدفع نفسه إلى الموت انتحاراً من شدة الضيق ،



فهذا القلب موطن السعادة والشقاء ، موطن الرضا والسخط ، موطن الحب والكراهية ، السكينة مصطلح قرآني في أدق تعاريفها ما يجده القلب من طمأنينة ، قال تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد الآية : ٢٨)

أي طريق السكينة طريق واحد ، أن تذكر الله ، أن تقبل عليه ، أن تتوكل عليه ، لأنه وحده المعطي ، المانع ، الرافع ، الخافض ، المعز ، المذل ، مصدر السكينة اتصالك بالله:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد الآية : ٢٨)

السكينة أحد أكبر ثمرات الإيمان بالله عز وجل :

الحقيقة الإنسان إذا أعرض عن الله ضاق قلبه ، وشعر بالاضطراب ، وشعر بالقلق ، وشعر بالخوف ، وأصبح وضعه مرضياً



الصحة النفسية أن تتصل بالله ، فذلك بين المؤمن الذي اتصل بالله وهو يشعر بالسكينة ، وبين الذي شرد عن الله وانقطع عنه فامتلاً قلبه قلقاً ، و ضيقاً ، وإحباطاً ، مسافة كبيرة جداً ، الحقيقة السكينة . وهذا من أخطر ما يقال فيها . يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، وجدها أهل الكهف بالكهف ، كانوا في القصور ، وجدها سيدنا يونس في بطن

الحوت ، وجدها النبي عليه الصلاة والسلام في الغار :

﴿ تَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(سورة التوبة)

قد يجدها الإنسان في أصعب ظروف حياته ، وقد يفتقدها وهو في قمة الدنيا ، في قمة البحبوحة ، في قمة المال ، في قمة القوة ، شيء عجيب كما أن الحكمة أحد أكبر ثمرات الإيمان كذلك السكينة أحد أكبر ثمرات الإيمان ، هي سعادة الإنسان بربه ، هي شعوره أنه في حمى الله عز وجل ، في عين الله عز وجل .

الإِنسان يسعد بالسكينة ولو فقد كل شيء ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء :

النقطة الدقيقة قد يجد الإنسان السكينة وهو في السجن ، كما وجدها سيدنا يوسف، وفي الغار كما وجدها النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي النار كما وجدها إبراهيم عليه السلام:

﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة الأنبياء الآية : ٦٩)

وقد يفتردها وهو في أفخر بيت ، وفي أرفه مركبة ، وفي أجمل حديقة ، إذا يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء ، هذا الذي قاله بعض العارفين بالله : "لو يعلم الملوك ما نحن عليه من السعادة والسكينة لقاتلونا عليها" .



عطاء الله قد يكون مرئياً ، وقد يكون غير مرئي ، الله عز وجل يعطي الصحة ، يعطي زواجا سعيداً ، يعطي مالا تشتري به بيتاً ، يعطيك أحياناً شيئاً لا يرى بالعين ، يعطيك طمأنينةً ، يعطيك توازناً ، يعطيك حكمة ، السكينة أحد ثمرات الإيمان الكبيرة التي يهبها الله لعبده المؤمن ، لأنها جزاء استقامته ، وإقباله ، وإحسانه للخلق .

الأستاذ عدنان :

دكتور لعل تعريف السكينة من خلال اللغة يعطينا شيئاً يترافق مع هذا المعنى الاصطلاحي الذي ذكرتموه ، فمثلاً كلمة مسكناً ، كلمة بيت ، منزل ، مقطن ، وما إلى ذلك ، كان العرب في القديم يطلقون كلمة بيت على المكان الذي يكون للمبيت ، الدار هي التي في شكلها الخارجي مدورة ، مسكن للذي يسكن فيجد الراحة الكاملة فيه ، منزل للذي ينزل في مكان من سفر ، إذاً موضوع السكينة موضوع يدل على خصوصية في الراحة الكاملة لهذا الإنسان .

السكينة من السكون والسكون من الطمأنينة والطمأنينة من السعادة :



الدكتور راتب :

يدل على السكون ، الإنسان حينما يضطرب يتحرك ، يتحرك حركة عشوائية ، أما حينما يسعد يسكن ، فكأن السكينة والسكون من أصل واحد ، الحقيقة أن السكينة شيء يمكن أن يذوقه المؤمن بمجرد أنه اصطاح مع الله ، إذا رجع العبد إلى الله ، نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنيئاً فلاناً فقد اصطاح مع الله .

بل إن الله عز وجل ذكر في معرض آياته الدالة على عظمته في الزواج قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الشورى الآية : ٢٩)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

(سورة فصلت الآية : ٣٧)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية : ٢١)

فكيف يسكن الرجل إلى زوجته ؟ لأنه يكمل نقصه بها ، يكمل نقصه العاطفي بها، وكيف تسكن هي إلى زوجها لأنها تكمل نقصها القيادي به ، إذاً الزوجان يحسان بالسكينة لأن كل طرف مفتقر إلى ما عند الطرف الآخر ، إذاً السكينة من السكون ، والسكون من الطمأنينة ، والطمأنينة من السعادة ، ولا سعادة إلا بالاتصال بالله ، والدليل قول الله عز



الزوجان يشعران بالسكينة لأن كل طرف مفتقر إلى ما عند الطرف الآخر

وجل:

﴿ أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد الآية : ٢٨)

والسكينة طمأنينة القلب .

الأستاذ عدنان :

دكتور في قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(سورة الفتح الآية : ٤)



إلى جانب :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد الآية : ٢٨)

هذا يشير إلى أن الإيمان وذكر الله يزيد سكينة في قلوب المؤمنين ، إذاً للسكينة درجات يمكن أن نتابعها مع شرح الآية الكريمة .

أنواع الهداية :

الدكتور راتب :



بادئ ذي بدء ، هداية الله أنواع عديدة ، من أنواعها هداية المصالح ، أعطانا الله عز وجل سمعاً ، وبصراً ، وفكراً ، وتوازناً ، وآليات معقدة جداً من أجل ضمان سلامتنا ، هذه الهداية الأولى لكل الخلق ، تشمل الكائنات كلها ، لكن هناك هداية الوحي ، الله عز وجل أوحى إلى أنبيائه كتباً من أجل هداية الخلق ،

السكينة

الهداية الثالثة : هداية التوفيق ، الإنسان حينما يختار منهج الله ، حينما يختار طاعة الله ، يعنيه الله على اختياره ، هذه :

﴿ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾
﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾

(سورة الكهف)

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(سورة العنكبوت الآية : ٦٩)

السكينة تزيد الإيمان قوة :

لمجرد أن تتخذ قراراً بالتوبة ، أو بالصلح مع الله بالتعبير المعاصر ، أو بطاعة الله ، أو باتباع منهج الله ، تأتي عناية الله فتسهل لك تنفيذ هذا القرار ، تحبب الإيمان إلى قلب المؤمن ، تبغض إليه الكفر ، والفسوق ، والعصيان

هذه معاونة الله عز وجل ، إنهم فتية اتخذوا قراراً بالإيمان ، هذا من عندهم ، من عند الله وزدناهم هدى ، فلذلك السكينة من نتائجها الدقيقة أنها تزيد الإيمان قوة ، الحقيقة الذي يشد الإنسان إلى الدين ليس أن الدين قدم للإنسان تصوراً دقيقاً ، وعميقاً ، ومنتاسقاً للكون ، والحياة ، والإنسان ، ليس أن الدين قدم تفسيراً لكل ما تقع عليه العين ،



الدين فوق ذلك يعطي الإنسان شحنة روحية ، الإنسان حينما يتصل بالله يأخذ قوة روحية ، ويرى أن الله يعامله معاملة من نوع آخر :

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

(سورة الطور الآية : ٤٨)

يعامله بالحفظ ، يعامله بالتأييد ، يعامله بالنصر ، إذاً هذا الذي يزيد الإيمان إيماناً ، أنك حينما اتصلت بالله رأيت معاونة من الله ، أو بتعبير آخر معاملة جديدة ، هو الذي يزيد الإيمان وقد قيل : إن الدعاء المستجاب يزيد الإيمان ، أنت حينما تدعو الله ، وتعلم أن استجابة الدعاء لا تكون إلا بفعل من الله عز وجل ، ويستجيب الله لك ، تزداد ثقة بعظمة الله، وبأنه يحبك ، وبأنه يسمعك ، وبأنه ينفذ الذي ترنو إليه .

١ . الخشوع :

على كل درجات السكينة درجات كثيرة ، أحد هذه الدرجات درجة الخشوع في الصلاة ، الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

(سورة المؤمنون الآية : ٢)



أنك تقف بين يدي الله عز وجل ، لكن الذي له معاص وأثام محجوب عن الله ولو توضأ ، ووقف ، وركع ، وسجد ، إذا سبق الصلاة استقامة ، وانضباطاً ، وإحسان لخلق ، عندئذ يستطيع إذا وقف بين يدي الله عز وجل أن يتصل به ، وأن تنتزل على قلبه السكينة في أثناء هذا الاتصال ، وهذا هو الخشوع في الصلاة أحد درجات السكينة .

٢ . الطمأنينة :

هناك درجة أخرى عند الاضطراب ، عند الفزع ، عند الاجتياحات ، عند الحروب ، عند المقلقات ، عند المصائب الكبيرة ، عند النوازل ، الناس ينهارون ، يفقدون وعيهم ، الآية الكريمة :



الطمأنينة عند الفرع من درجات السكينة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ
السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا
تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ
اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(سورة الحج الآية: ٢)

والله أعرف أستاذ عدنان امرأة أصاب بلدتها زلزال ، فحملت وليدها الرضيع وانطلقت خارج البيت من شدة فزعها ، فلما وصلت إلى الطريق لم يكن الذي حملته وليدها .

الأستاذ عدنان :

هل كانت وسادة ؟

الدكتور راتب :

لا ، حذاء زوجها :

﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

فالمؤمن عند الشدائد ، عند الأزمات ، عند النوازل ، تأتي السكينة فتثبته ، يكون هادئاً مطمئناً هذه الدرجة الثانية ، درجة في الصلاة هي الخشوع ، ودرجة في النوازل والنكبات هي الطمأنينة .

٣ . الرضا بما قسم الله لك :

ولها مرتبة أخرى الإنسان أعطاه الله وجوداً ، أعطاه الله لهذا الوجود خصائص وصفة ، فالإنسان له شكل معين ، له إمكانات معينة ، ولد من أسرة معينة ، في بيت معين ، في مكان معين ، في زمان معين ، في مستوى طبقي معين ، قد يولد فقيراً

قد يولد غنياً ، هذا واقع الإنسان ، السكينة حيال هذا الواقع الرضا بما قسمه الله لك ، ليس معنى الرضا أن تقعد عن طلب المزيد ، لا ، أما حينما تبذل قصارى جهدك لكي ترقى بمستواك ثم لا تستطيع ارض عن الله ، فالسكينة إحدى درجاتها الخشوع في الصلاة ،



الرضا بما قسم الله لنا من درجات السكينة

وإحدى درجاتها الطمأنينة في أثناء النوازل والنكبات ، وإحدى درجاتها حينما ترضى بما قسم الله لك . إنسان كان يطوف حول الكعبة يقول : يا رب ، هل أنت راضٍ عني ؟ كان الإمام الشافعي يمشي وراءه ، قال له : " يا هذا ، هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال له: سبحان الله ! من أنت ؟ قال : أنا محمد بن إدريس ، قال : كيف أَرْضَى عن الله وأنا أتمنى رضاه ؟! قال : إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله " .

الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين . فلذلك درجات السكينة كما ذكر .

الأستاذ عدنان :

دكتور ما شرح الآية الكريمة :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ ﴾

السكينة محلها القلب :

الدكتور راتب :



الحقيقة أن الله عز وجل من قوله

﴿هُوَ﴾

أي أن السكينة بيد الله وحده ، يعطيها لعباده المؤمنين :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ﴾

﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

إذاً السكينة محلها القلب ، يوجد بقلب المؤمن من الطمأنينة صدق ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

هو مؤمن بوجود الله ، ووجدانيته ، وكماله ، وأنه خالق هذه الأكوان ، ورب العالمين ، والمسير ، وأسمائه حسنى ، وصفاته فضلى ، لكن كلما ألقى الله في قلب المؤمن هذه السكينة ازداد سعادة بالله، وازداد معرفة به ، وازداد قرباً منه ، وازداد طاعة له :

﴿ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

الأستاذ عدنان :

دكتور من الممكن في بعض الأحيان أن يسعى الإنسان في هذه الدنيا لتأمين حاجاته الدنيوية ، إذ يشعر بأنه لو أدى وحصل على الحاجة الفلانية سعد بها ، وأسعد أهل بيته ، هل يمكن أن تكون هذه هي السعادة فعلاً ؟

الفرق بين السكينة واللذة :

الدكتور راتب :

هي جزء ، ولكن السعادة المثلى كما بينتم أنها من عند الله عز وجل :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ ﴾

وليست الحاجات الدنيوية ، لكن كما قلت : يمكن أن يقول قائل : أنا عندما أؤمن حاجاتي يمكن أن أصل إلى شيء من السعادة ، هذا الكلام التعليق عليه أن هناك فرق بين السكينة أي السعادة ، وبين اللذة ، أي تأمين الحاجات المادية تحقق لذائد للإنسان ، أما تأمين اتصاله بالله ورضاه عن الله يحقق له السعادة التي هي ترادف السكينة ، فرق بين



السكينة وبين اللذة ، الحاجات المادية ؛ الطعام ، والشراب ، والكساء ، والأجهزة ، والأدوات ، والسيارة ، وكل وسائل الراحة في الحياة الدنيا هذه تحقق اللذائد ، يستمتع بها الجسد ، أما هذه النفس التي بين جنبي الإنسان سعادتها بقربها من الله :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد الآية : ٢٨)

هناك حديث شريف رائع يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

الإنسان عندما يحضر مجلس علم قد يكون الجلوس على الأرض وليس هناك ضيافة إطلاقاً .
الأستاذ عدنان :
ضيافة قلبية .

الرحمة مطلق عطاء الله تبدأ من الصحة وتنتهي بالرفعة :

الدكتور راتب :

نعم لكن الله عز وجل يكافئ هؤلاء الذين تجشموا ، وحضروا مجلس العلم ، وجلسوا على ركبهم ، يعطيهم عطاءً قد لا يرى بالعين ، هذا العطاء كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ))

يقول لك : والله سعدنا بهذا اللقاء ، سعدنا بهذا الدرس ، نحن في قمة السعادة :

((وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ))

الرحمة مطلق عطاء الله ، تبدأ من الصحة وتنتهي بالرفعة ، مطلق عطاء الله :

((وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ))

أي ألهمتهم الخير واستجابوا لهذه الإلهامات ،

((وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

أنت حينما تذكر الله بين الناس يذكرك الله فيمن عنده أي :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(سورة الشرح الآية : ٤)

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(سورة الشرح الآيات : ١-٤)

كل مؤمن بحسب إيمانه ، واستقامته ، وإخلاصه له من هذه الآية نصيب .

((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

المؤمن متفائل يرى أن الله لا يتخلى عن عباده :



لذلك :

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا

يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ

حِيفَةٍ حِمَارٍ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

أحاديث الدنيا ، والحسد ، والبغضاء ، و رد التهم ، والغمز ، واللمز ، والغيبة ، والنميمة ، هذه مجالس الشيطان ، لذلك لا يستطيع الجالسون أن يقفوا على

أقدامهم من شدة القلق ، والخوف ، واليأس ، أنت تجلس مع إنسان يملأ قلبك تفاعلاً ، وثقة بالله ، وتجلس مع إنسان يريك المستقبل أسود اللون ، مظلماً ، لا أمل بذلك ، لذلك المؤمن متقاتل ، المؤمن يرى أن الله لا يتخلى عن عبادته ، ولو ضاقت بهم السبل ، لكن فرج الله قريب ، والمؤمن لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله .

الأستاذ عدنان :

الحقيقة هذه من ثمار السكينة ، و ثمار الإيمان ، يمكن أن يجده في كل ما يدل على خلق الله عز وجل أيضاً ، تسمعونا ونشاهد معكم في نهاية كل حلقة شيئاً من الإعجاز العلمي الذي يتصل بمخلوقات الله عز وجل .

عجائب القندس :

الدكتور راتب :

نحن أمام بحيرة هذه كانت شيئاً آخر قبل أن تكون بحيرة ، كانت جدول ماء ، بل لم يكن هناك بحيرة أصلاً ، كانت حصى مفروشة على التراب الجاف ، إلا أن عمالاً نشيطين عملوا كثيراً ، وبدلوا جهداً كبيراً حتى أنشؤوا هذه البحيرة ، العمال النشيطون هؤلاء هم هذه الحيوانات المحببة التي تسمى القندس ، مفردها قندس .



تبني القنداس بيوتها إلى جانب هذه البحيرة التي أنشأتها ، تبدأ حكاية القنداس برحلة ذكرٍ وأنثى لبناء مأوى جديد لهما .

سيبني زوجا القنداس هذان بيتهما على الماء الجاري ، إلا أنهما قبل هذا العمل يجب عليهما إيقاف جريان هذا الماء ، ولقطع هذا الجريان يستخدمان الأسلوب نفسه الذي استخدمه الناس منذ مئات السنين في إنشاء السدود ، نحن الآن نرى حيواناً هو وأنتاه بينيان سداً ، ليجعلا هذا الجدول بحيرة ، تمهيداً لبناء بيت في هذه البحيرة .



يلزم للبدء في إنشاء السد أولاً إيجاد المواد اللازمة ، إنها جذوع الأشجار وأغصانها ، تبدأ القنادس عملها بذهابها إلى غابة الأشجار قرب الماء الجاري ، وتأكل قليلاً من أوراق الأشجار التي تجدها في طريقها أولاً ، أما عملها الأساسي فهو قطع الأشجار وإسقاطها ، وتفعل هذا بقضم جذع الشجرة بمهارة ، لها أنياب حادة تقضم جذع الشجرة إلى

أن تسقطها على الأرض ، ثم تجرها إلى جدول الماء وتضعها عرضاً .

الجانب المحير في الأمر أنها تقضم الأشجار بحيث أن الشجرة التي تنتهي من العمل بها تقع في اتجاه الماء ، أي آخر قزمة من مكان معين بحيث تنهار إلى جهة الماء حصراً ، فقضم الأشجار وإسقاطها في هذه المرحلة للإنشاء ، كما تقوم القنادس بعد ذلك بفرز أغصانها واحدة واحدة ، وترتيبها أمام أكبر جذع أسقطته ، وتبدأ ببناء السد أمام الماء الجاري، تسحب هذه الشجرة وتسحب أغصانها ، تضعها عرضاً أمام الماء الجاري .

جميع ما استخدمته أثناء هذا العمل فمها فقط وأيديها ، بل إن أسنانها أحياناً حينما تتبري من شدة القضم تنمو لها أسنان جديدة ، لأن سلاحها الوحيد في إنشاء السد أسنانها .

تدأب على هذا العمل بصبر عجيب ، يسقط زوج القنادس في السنة أربعمئة شجرة ، أما الأشجار البعيدة عن الماء فتسقى أغصانها واحدةً واحدةً ثم تجرها إلى السد الذي أنشأته .

بنية القنادس من آيات الله الدالة على عظمته :

تستخدم القنادس أثناء قضم الشجرة أسنانها الأمامية ، تتأكل هذه الأسنان بسبب استخدامها الدائم وتتكرر أحياناً مع مرور الزمن ، غير أن فك القنادس خلق بشكلٍ متناسبٍ مع هذا العمل ، الأسنان الأمامية الحادة كأظافر الإنسان تماماً ، تطول باستمرار وكأنها أظافر الإنسان .



الأستاذ عدنان :

أي مطلوب منها بشكل دائم أن تعمل .

الدكتور راتب :

﴿ قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

(سورة طه الآيات : ٤٩-٥٠)



الله تعالى خالق هذا الحيوان أوجد لها أسناناً متناسبة مع العمل الذي تقوم به ، بفضل هذا تستطيع دفع الماء بسهولة ، أما أجسام القنادس فقد خلقت بتصميم خاص يسهل عليها السباحة في الماء ، لأن بيتها في الماء ، و ما بين أصابعها مغطى ، وبفضل هذا تستطيع دفع الماء بسهولة ، كأرجل البطة ، لتكون أرجلها مجدافاً ، أما ذيلها الخلفي كمجداف ضخيم ، وبفضل هذا تسبح في الماء بسهولة تامة .

تفعر السد الذي تنشئه القنادس نحو الداخل مهارة خلقت مع القنادس بقدرة الله عز وجل :

تستمر القنادس في إنشائها بعملٍ دؤوب ، وتنسق القنادس جذوع الأشجار وقطع الأغصان الصغيرة بمهارة ، وتعمل على توسيع السد مع الوقت ، وكلما ارتفع السد ترتفع معه بركة الماء ، وبعد نشاطٍ يدوم أشهراً عديدة تتكون بحيرة كبيرة من خلال هذا السد



إلا أنه كلما كبرت البركة يجب على القنادس تثبيت وتصليح شقوق السد ، في صيانة دائمة ، هي تضع الأشجار عرضاً ، والأغصان بين الأشجار ، والأغصان مع الأوراق ، فإذا كان هناك تسرباً للماء أو شقوق تصلحها ، وتقوم بهذه المهمة الصعبة بصبر وجَد ، المنظر الذي يظهر نتاج تعب ، تعب أشهر عديدة وبكلمة واحدة هو إنجاز رائع ، يظهر سد حقيقي شبيه بما يصنعه الإنسان



إذا دققنا بصنع القنادس سدها على شكل قوسٍ مقعرٍ إلى الداخل ، من أجل تحمل ضغط الماء ، هذا ليس شكلاً عشوائياً لأن أكثر السدود تحملاً لضغط الماء هو السد المقام بشكلٍ مقعرٍ إلى الداخل .

الأستاذ عدنان :

والآن لو صورنا سدود من الجو لوجدناها مقعرة نحو الداخل .

الدكتور راتب :

وباختصار القنادس ملهمة منذ ولادتها إلى هذا الإنشاء الذي لم يصل إليه البشر إلا بعد زمنٍ طويل ، من لقنها هذه المعلومات ؟ بلا شك لا يمكن أن يكتسب كائنٌ خبرة إنشاء سد كهذا مصادفةً ، ولا يمكن أن نرى سداً صمم بأفضل السبل لمقاومة الماء مصادفةً ، ولا تستطيع القنادس نقل هذه الخبرات إلى الجيل التالي لها . لا يوجد تعليم عندهم ، يولد القنادس مع هذه الخبرات ، الله تعالى هو الذي وهب القنادس هذه الخبرات ، هو خالق الكائنات كلها والذي ألهمها أعمالها ، الحقيقة شيء مدهش أن الإنسان بعد التقدم ، والرقي ، والحضارة ، والجامعات ، وكليات الهندسة ، يكتشف أنه لا

بدّ من سدّ مقعر نحو الداخل ، ويأتي حيوان أعجم معه خبرات من الله مباشرة يبني سدّاً بأحدث ما توصل إليه .

خاتمة و توديع :

الأستاذ عدنان :

القباب نجدها بهذا الشكل لتكون أمتن وأقوى الجسور تحملاً على الطريقة نفسها ، فسبحان الله كيف خلق هذه العجاوات لتكون ملهمة من الله عز وجل ، وهذا ما يزيدنا سكينه وإيماناً ، فشكراً لكم . في ختام هذا اللقاء كل الشكر لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ، في كليات الشريعة و أصول الدين ، وكل الشكر أيضاً للأخوة المشاهدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين